الإمام يوسف القرضاوي

تجديد الدين الذي ننشده

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

محاضرات الامام يوسف القرضاوي
تجديد الدين الذي ننشده
الامام يوسف القرضاوي
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٥٦ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع : ٢٠١١/٨٣٦٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-225-303-8

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه . أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأي وسيلة أخرى . أو تصويره ، أو تسجيله على أي نحو . بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف .

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher And Auther.

دار الكتب والوثائق القومية
دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي . يوسف .
تجديد الدين الذي ننشده / يوسف القرضاوي .-
القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١١
٥٦ ص : ١٤ سم
تدمك ٨ ٢٠٢ ٢٣٥ ٩٧٧
١ - الاصلاح الديني .
أ - العنوان .

٢١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تجديد الدين الذي ننشده[1]

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه ، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته ، واهتدى بسنَّته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

مولانا الملك المُعظَّم الحسن الثاني ، أعزَّه الله بالإسلام ، وأعزَّ به الإسلام ، السادة الوزراء ، الحضور الكريم : قَدِمْتُ من ضفاف الخليج ، من أقصى المشرق العربيِّ ، من قطر العربية المسلمة ، أحمل إليكم وإلى المغرب العربيِّ المسلم الشقيق

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة ضمن الدروس الحسنية الرمضانية بالمملكة المغربية الشقيقة عام ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م . وألقي في مجلس الحسن الثاني ملك المغرب ، وكان لهذا الدرس صدى كبير في أنحاء المملكة المغربية ، ولقد ألقيت هذه المحاضرة ارتجالا .

خير التحيَّات ، وخير التحيَّات هي تحيَّة الإسلام ، وتحيَّة الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

موضوعنا الليلة عن **(تجديد الدين الذي ننشده)** ، انطلاقًا من الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو داود في سننه ، والحاكم في مستدركه وصحَّحه ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ، والخطيب في التاريخ ، وصحَّحه زين الدين العراقي ، ورمز له السيوطي بالصحَّة في جامعه الصغير ، وأقرَّه على ذلك العلاَّمة المُناوي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينها »[1] . فهو حديث صحيح ، وإن لم يرد في الصحيحين ، وقد صدَّقه الواقع .

سبب اختيار الموضوع :

وإنما اخترت هذا الموضوع لسببين رئيسين :

السبب الأول : مقاومة اليأس من انتصار الإسلام

أن أقاوم موجة اليأس التي انتشرت بين المسلمين في الزمن الأخير ، والظنَّ القائم أنَّ الدين دائما في إدبار ، وأنَّ الكفر في

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١) ، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧) ، والحاكم في الفتن والملاحم (٨٥٩٢)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي . والبيهقي في المعرفة (٢٠٨/١) .

إقبال ، وأنَّنا في آخر زمن ، وأنَّه لن تقوم للإسلام دولة ، ولن ترتفع له راية ، وعزَّز مَن ظنَّ هذا الظنَّ ، وفهم هذا الفَهم ، ووهم هذا الوهم ، بأحاديث وردت في الفتن وأشراط الساعة ، ظنُّوا من خلال فَهمهم لهذه الأحاديث ، أنَّه لا فائدة من عمل يُرجى ، ولا من إصلاح يُنشَد .

واعتمدوا كذلك على أحاديث ، مثل حديث : « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »[1] . مع أنَّ في بعض الأحاديث : قيل : ومن الغرباء ، يارسول الله؟ قال : « الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سُنَّتي »[2] . فليس الغرباء قوما سلبيِّين ، وإنما هم مصلحون مُجدِّدون عاملون إيجابِيُّون .

واعتمدوا كذلك على مثل حديث أنس في صحيح البخاري : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه »[3].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٦)، عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال : حديث حسن، والطبراني في الكبير (١٦/١٧)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٤٤١) ، عن عمرو بن عوف المزني .

(٣) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، وأحمد (١٢٣٤٧) ، والترمذي في الفتن (٢٢٠٦) .

مع أنَّ الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للبخاري في فتح الباري قال : (ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك فيختص بهم ، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور ، لكن الصحابي فهم التعميم)[1].

وإلا لتناقض هذا الحديث مع الواقع التاريخي ، فقد جاء زمن مثل زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان خيرا من الأزمنة التي قبله ، وأيضا جاءت الأحاديث بأنَّ الإسلام سيكون له شأن في آخر الزمان ، هكذا جاءت الأحاديث .

فلا ينبغي إذن أن تُؤخذ هذه الأحاديث التي يتعجَّل بعض الناس في فَهمها ، ويسيؤون فَهمها ، وينتهون منها إلى أنَّه لم يَعُد هناك سبيل إلى إصلاح ، هل يُعقل أن يأتي محمد ﷺ بدين يدعو الناس فيه للدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإصلاح الفساد ، ثم يقول للناس أحاديث تُثَبِّط هممهم ، وتُضْعف عزائمهم عن عمل الخير وخير العمل؟

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤٦٢/١٦) ، تحقيق نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض .

الأحاديث المبشِّرات :

من هنا كنَّا في حاجة إلى الأحاديث المبَشِّرات ، ومنها هذا الحديث الذي معنا ، وأحاديث أخرى مثل حديث : « لَيَبْلُغَنَّ هذا الدين ما بَلَغَ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل ، عزٍّ يُعِزُّ الله به الإسلام ، أو ذُلٍّ يُذِلُّ الله به الكفر »[1].

وحديث : « مثل أمتي مثل المطر ، لا يُدرى أوله خير أم آخره »[2].

وكم من الأحاديث المبشِّرة نسيها هؤلاء ، ينبغي أن تُنشَر .

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧) ، وقال مخرجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم، وابن حبان في التاريخ (٦٦٩٩)، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح، والطبراني في الكبير (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن والملاحم (٨٣٢٤)، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم، والبيهقي في سننه، كتاب السير (١٢٨٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣)، عن تميم الداري .

(٢) رواه أحمد (١٢٤٦١)، قال مخرجوه : حديث قوي بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال حسن غريب من هذا الوجه، كلاهما عن أنس بن مالك، وابن حبان في التاريخ (٧٢٢٦)، عن عمار بن ياسر، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٨٦) .

بل نسي هؤلاء القرآن نفسَه ، القرآن الذي يقول الله فيه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (النور: ٥٥).

ويقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(التوبة: ٣٣).

ويقول : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧).

ويقول : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر: ٥١).

لهذا كانت أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، في حاجة أن ينظر فيها أهل البصيرة من العلماء ، حتى تُفهَم على وجهها الصحيح ، لهذا اخترت حديث : « إن الله يبعث لهذه الأُمَّة . . . »؛ لبعث الأمل وزرع الرجاء في قلوب الأُمَّة المسلمة ، وأن الله لا يَدَعُها لأنياب الضعف حتى تفترسها ، بل ما بين الحين والحين يُهيِّئ لها مَن يجمعها من شتات ، ويوقظها من سبات ، ويُحْيِيَها من موات ، يُهيِّئ الأسباب والمناخ والظروف الملائمة ، لمن يُجدِّد لهذه الأُمَّة أمر دينها ، مَن يُجدِّد لها الدين ، ومن يُجدِّد بها الدين .

والسبب الثاني : الخلط والخبط عند مدعي التجديد

السبب الثاني لاختيار هذا الموضوع : هو الخلْط والخبْط الذي نراه عند كثيرين ، عندما نراهم يتحدَّثون عن تجديد الدين ، فهناك قوم يريدون أن يُجدِّدوا الدين كأنَّما يريدون أن يُحدثوا طبعة جديدة منقَّحة من هذا الدين ، كأنَّهم يريدون دينا جديدا غير الدين الذي دعا إليه محمد ﷺ ، وطبَّقه خلفاؤه الراشدون من بعده ، وعرَفه السلف الصالح من هذه الأُمَّة ، وهؤلاء الذين سخر منهم أديب العربية والإسلام ، مصطفى صادق الرافعي ، حينما قال : إنهم يريدون أن يُجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر .

وقال فيهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته عن الأزهر :

لا تَحْذُ حذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم أمرٍ منكرا

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عُمِّرا

من كلِّ ساعٍ في القديم وهدْمه ... وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا

هؤلاء الذين يريدون أن يُجدِّدوا الدين ويُطَوِّروه ويُغيِّروه ، يُطَوِّروا جوهره ، من هنا كنَّا في حاجة إلى أن نُصحِّح مفهوم التجديد لهذا الدين ، وهذا الذي جعلني أختار هذا الموضوع .

معنى الحديث :

هذا الحديث : « إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة » ، من الإخبار بالغيب ، أخبر به مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ ، وإذا أخبر ﷺ عن شيءٍ من أمور الغيب ، فإنما أخبره الله به وأطلعه عليه .

لا بدَّ أن نتحدَّث هنا عن المُجدِّد ، وعن المُجدَّد ، وعن المُجدَّد له ، وعن معنى التجديد ، ومداه ، وجوانبه .

من المُجدِّد ؟

فمن المُجدِّد؟ هل المُجدِّد فرد أو جماعة؟ الأكثرون من شُرَّاح هذا الحديث ذهبوا إلى أنَّ المُجدِّد فرد واحد ، فهموا من كلمة « مَن » في قوله ﷺ : « مَن يُجدِّد لها »، أنه شخص واحد ، وعلى هذا اشتهر أنَّ مُجدِّد المائة الأولى ، هو خامس الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، المتوفَّى سنة مائة وواحد من الهجرة (١٠١ هـ) .

وأن مُجدِّد المائة الثانية ، هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، المتوفَّى سنة مئتين وأربعة من الهجرة (٢٠٤ هـ) .

واختلفوا في مُجدِّد المائة الثالثة ، هل هو أبو الحسن الأشعري ، أو ابن سُرَيْج ؟

واختلفوا أيضا في مُجدِّد المائة الرابعة ، هل هو الباقلاَّني ، أو الصُّعلُوكي ؟

واتفقوا أنَّ مُجدِّد المائة الخامسة هو أبو حامد الغزالي ، المتوفَّى سنة خمسمائة وخمسة من الهجرة (٥٠٥ هـ) .

والسادسة قالوا : إنه الفخر الرازي ، المتوفَّى سنة ستمائة وستة من الهجرة (٦٠٦هـ)، وبعضهم قال : الرافعي الشافعي .

ومُجدِّد المائة السابعة ابن دقيق العيد ، وهكذا ذهبوا إلى أنَّ المُجدِّد فرد واحد .

ولكن الإمام ابن الأثير في (جامع الأصول) ، وكذلك الإمام الذهبي ، اختاروا أنَّ (مَن) كما أنها تصلح للفرد تصلح للجمع.

قال ابن الأثير بعد أن ذكر الحديث : (ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا ، وإنما قد يكون واحدا ، وقد يكون أكثر منه ، فإن لفظه «من» تقع على الواحد والجمع)[1].

وقال الذهبي : («من يجدد» لفظا يصدق على جماعة ، وهو أقوى)[2].

« إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لها دينها » ، لماذا جعلناه واحدا؟ مع أنَّ (مَن) تصلح

---

(١) جامع الأصول (١١/٣١٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٠٣) .

للمفرد ، وتصلح للجمع ، وقد وردت في القرآن الكريم للجمع ، كما في قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (يونس:٤٢) ، وكقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧).

تقول مثلا : جاء مَن أكرمتُه ، وجاء مَن أكرمتُهما ، وجاء مَن أكرمتُهم ، ولذلك قال ابن الأثير : إنَّ هذا المُجدِّد قد يكون مُحَدِّثًا ، وقد يكون فقيهًا ، وقد يكون مُفَسِّرًا ، وقد يكون حاكمًا من الحكَّام ، وقد يكون مجاهدًا في سبيل الله ، فالمُجدِّد ليس واحدًا ، وقال : إنَّ ما عابه على العلماء من قبل ، أنَّ كلَّ جماعة كانوا يحملون المُجدِّد على واحد من أهل مذهبهم ، فالشافعية يريدون أن يجعلوه شافعيًّا ، والمُحَدِّثون يريدون أن يجعلوه مُحَدِّثًا ، والمتكلِّمون يريدون أن يجعلوه متكلِّمًا ، مع أنَّ التجديد يَسَع الجميع ، فقد يكون على رأس المائة عدد من المُجدِّدين .

ولهذا نستطيع أن نقول : إنَّ الذي يقوم بالتجديد والإحياء يمكن أن يكون فردًا أو أفرادًا ، أو جماعةً من الناس ، أو مدرسةً من المدارس الفكرية ، أو حركةً فكريةً أو علميةً أو تربويةً أو جهاديةً ، يكون المُجدِّد مجاميع مختلفة من

الناس ، منتشرون في الأرض ، مثل ما قال الإمام النووي في شرح حديث : « لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة ، قائمة على الحق ، لا يضرُّهم من خالفهم ، حتى يأتي وعد الله ، وهم على ذلك »[1]. قال: قال بعض الشُّراح: هم أصحاب الحديث. لم يرتضِ ذلك النووي ، وقال : يمكن أن يكون منهم المُحدِّث والفقيه والمُفسِّر ، ويمكن أن يكونوا في بلد واحد ، ويمكن أن يكونوا متفرِّقين في البلاد[2]. وهذا هو الصحيح .

لسنا في حاجة إلى أن نُحدِّد شخصًا واحدًا ، ونقول هذا هو مُجدِّد المائة الأولى أو الثانية ، أو مُجدِّد المائة الرابعة عشرة في قرننا هذا ، ولسنا في حاجة أن يدَّعي بعض الناس لواحدٍ من المذهب أنَّه هو المجدِّد ، ولسنا في حاجة إلى أن يدَّعي شخص أنَّه هو المُجدِّد ، فإنَّ النبي ﷺ لم يعطنا علامة معيَّنة حتى نقول من خلالها هذا هو المُجدِّد ، ولكنَّ العلماء والمؤرِّخين نظروا إلى أبرز الأشخاص الذين أثَّروا في حياة الأُمَّة ، في فكرها وسلوكها وخُلُقها ، وخاصَّةً إذا كان قريبًا من رأس القرن ، فقالوا هذا هو المُجدِّد .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في العلم (٧١) ، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) ، عن معاوية بن أبي سفيان .

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٧/١٣) .

ابن تيمية وحركته التجديدية الضخمة :

على حين قد يكون منهم من تأخَّر بعض الشيء عن رأس القرن وكان له أثر كبير ، فلا يَعُدُّونه مُجدِّدًا ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ، برغم حركته التجديديَّة الضخمة في فكر الأُمَّة ، وفي أخلاقها ، وفي مقاومة أعداء الإسلام ، وفي تحرير العقل الإسلامي ، بالرغم من كلِّ هذا لم يَعُدُّوه من المجدِّدين؛ لأنَّه تأخَّرت وفاته عن رأس القرن ، حيث تُوُفِّي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين من الهجرة (٧٢٨ هـ) ، بينما هو على رأس القرن كان يعمل .

والحديث لم يقُل : إنَّ الله يَتَوفَّى المُجدِّد على رأس المائة . بل قال : إنَّ الله يبعثه على رأس المائة . يعني أنَّه على رأس المائة يقوم بعمل ، فلو اتَّجهنا إلى أنَّ التجديد يمكن أن يكون بعمل جماعي ، ما احتجنا إلى أن نُحَدِّد فردا معيَّنا ، كما فعل ذلك الحافظ السيوطي ، فقد قال عن نفسه أنَّه مُجدِّد المائة التاسعة ، فقد تُوُفِّي سنة تسعمائة وإحدى عشرة من الهجرة (٩١١ هـ) ، قال في رسالة له سمَّاها : (تحفة المهتدين بأسماء المجدِّدين) :

وكان عند المائة الأولى عمر ... خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانية ... لما له من العلوم السارية

وابن سُـريج ثالـث الأئمـة ... والأشعري عـده مـن أمـه
والباقّلاني رابـع أو سـهل أو ... الأسفراييني خلف قد حكـوا
والخامس الحَبْـر هـو الغـزاليّ ... وعده مـا فيـه مـن جـدال
والسادس الفخر الإمام الرازي ... والرافعـي مثلـه يـوازي
والسابع الراقـي إلى المراقـي ... ابـن دقيـق العيـد باتفـاق
والثامن الحـبر هـو البلقـيني ... أو حافظ الأنام زيـن الـدين
وهـذه تاسـعة المـئين قـد ... أتت ولا يخلف ما الهادي وعد
وقد رجوتُ أنّي الـمُـجـدد ... فيها ففضل الله ليس يُجحَـد[1]

لكن أنكر عليه الآخرون ، ومن هنا نقول : إنَّ الأُمَّة كلَّها مطالَبة بالتجديد ، لا داعي أن ننتظر التجديد من فرد يهبط علينا من السماء ، ليُجدِّد لنا ديننا ، فإنَّ هذا هو الذي جعل الناس يتعلَّقون بفكرة (المهدي المنتظر) ، ولا يبحثون عن المهدي المنظور ، جلسوا ينتظرون من يُجدِّد لهم ، وهم قاعدون لا يفعلون شيئًا .

لا ينبغي هذا ، كلُّنا ينبغي أن نشترك في حركة التجديد ، التجديد ليس من فرد واحد ، وإنَّما من جماعة متحرِّكة ، كلٌّ يُدلي فيها بدَلْوه ، ولو فهمنا التجديد على هذا الأساس ، لاستطاع كلُّ مسلم أن يبذل جهده ، ولا يدَّخر وُسعًا ، في

---

(١) انظر : خلاصة الأثر للمحبي (٣/٣٤٤، ٣٤٥) .

حركة التجديد المطلوبة للإسلام ، هذا هو الذي أفهمه من هذا الحديث ، أنَّ الله تعالى يُهيِّئ مَن يقوم بهذا التجديد .

ضرورة التجديد الجماعي في عصرنا :

التجديد في عصرنا ينبغي أن يكون بجماعة من الناس ، لا بفرد معيَّن ، فنحن في عصر التكتُّلات ، ما عاد جهد الفرد وحده يُغني ، وهذا هو الذي يتَّفق مع ما جاء في القرآن ، يقول الله تعالى في الخبر الإلهي : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٨١) ، فهم أُمَّة ، وقال في الأمر الإلهي : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤).

ويتَّفق مع ما جاء أيضًا في السنة ، فقد جاء في الحديث عن المغيرة بن شعبة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يزال ناسٌ من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[1]. فلا بدَّ أن نعمل ، ونعمل متعاونين ، فالفرد مهما كان عطاؤه ، ومهما كانت قدرته ومواهبه ، فهو محدود الطاقة والقدرة ، وهو في حاجةٍ إلى غيره ، والمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه ، ضعيفٌ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المناقب (٣٦٤٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٢١) .

بمفرده قويٌّ بجماعته ، و« المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشدُّ بعضُه بعضًا »[1].

لمَّا كلَّف الله نبيَّه موسى عليه السلام بالرسالة ، وهو القويُّ الأمين ، دعا الله عزَّ وجلَّ فقال : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ (طه:٢٩-٣٥) ، فقال الله له : ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه:٣٦) ، وقال له : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا ﴾ (القصص:٣٥)، فكان في حاجة إلى من يَشُدُّ عَضُده ، ويقوِّي أزره .

والله تعالى قال لرسوله محمد ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (الأنفال:٦٢،٦٣)، أيَّده بنصره ، وأيَّده بالمؤمنين المؤتلفين المترابطين على غاية واحدة مشتركة يعملون لها ، فليس بالضرورة إذن أن يكون المُجدِّد فردا ، إنَّما يمكن أن يكون جماعة من الناس ، بل عدَّة جماعات ، يمكن أن تقوم عدة جماعات بالتجديد ، كلٌّ في مجاله .

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) ، عن أبي موسي الأشعري .

البعض يضيق ذرعًا بوجود أكثر من جماعة تعمل للإسلام:

بعض الناس يَضيق ذَرْعًا أن توجَدَ أكثر من جماعة تعمل للإسلام ، لا مانع أبدًا أن توجد أكثر من جماعة ، ولكن على أن تتعاون وتُنسِّق فيما بينها ، جماعة تعمل في مجال إصلاح العقيدة ، وجماعة تعمل في مجال ضبط العبادة والسلوك ، وجماعة تعمل في محاربة السفور والخلاعة ، وجماعة تعمل في الجهاد في سبيل الله ، وجماعة تعمل في مجال التربية ، وجماعة تعمل في المجال الفكري ونشر الثقافة ومقاومة المفاهيم المغلوطة ، وجماعة تعمل في مجال الحُكم والسياسة ، وهكذا كلٌّ يعمل في مجاله ، ويكون هذا اختلاف تَنَوُّع وتخصُّص ، لا اختلاف تَضَادّ . فلا مانع من هذا أبدا ، فكلٌّ يقوم بنصيبه في حركة التجديد المنشودة ، طبعًا يتفاوت الناس ، فأهل الحُكم عليهم مسؤولية أكبر من غيرهم ، وأهل العلم كذلك ، ولكنَّ الجميع مُطالَب أن يُسهم ، وأن يؤدّي دوره في تجدد الدين ، هذا هو معنى مَنْ يُجدِّد .

مَنْ المُجدَّد له ؟

عرَفنا المُجدِّد ، فمَن المُجدَّد له؟ المُجدَّد له هو هذه الأُمَّة ، كما في الحديث : « إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة ». فالمُجدَّد له هو

هذه الأُمَّة ، الأُمَّة الإسلامية ، أُمَّة الإجابة ، وكأنَّ النبي ﷺ ، استحضر الأمَّة أمامه ، وخاطبها بأجيالها وقرونها المختلفة ، وأشار إليها بقوله : « إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة »، وإذا ذُكرت الأُمَّة في القرآن أو في السنة فليست إلا الأُمَّة الإسلامية ، فهي أُمَّة ليست مبنية على أساس عنصري،ولا على أساس إقليمي، ولا على أيِّ أساس إلا على أساس الإسلام ، إنها الأمَّة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، وهي الأُمَّة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١١٠)، والمذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢) .

وهي أُمَّة واحدة ليست أممًا ، فمن الخطأ أن نقول : الأمم الإسلامية . كما يقول كثير من الناس ، ولكنها شُعوب إسلامية لأُمَّة إسلامية واحدة ، أُمَّة ذات شُعوب ، فالتجديد لها ، التجديد الكامل يكون على مستوى الأُمَّة ، ولكن هناك تجديد جزئيٌّ ، قد يكون التجديد لقُطْر دون قُطْر ، في بيئة دون بيئة ، في فئة دون فئة ، في جانبٍ من الحياة دون جانب ، كلُّ هذا يمكن أن يشمله التجديد .

أمَّا التجديد المطلق ، التجديد الكامل ، فهو الذي يُجدِّد هذه الأُمَّة كلَّها ، كما كان فعل عمر بن عبد العزيز ، فقد كان تجديده للأُمَّة كلِّها ، حيث كان خليفة المسلمين عامة .

ماذا يُجدِّد ؟

عرفنا المُجدِّد ، والمُجدَّد له ، فماذا يُجدَّد؟ أو ما الذي يُراد تجديده؟ إنَّ الذي يُجدَّد هو الدين ، فالحديث يقول : « يُجدِّد لها دينها ». فالتجديدُ للدين ، لأنَّ الدين هو رُوح الأُمَّة ، إذا تجدَّد دين الأُمَّة تجدَّدتْ الأُمَّة كلُّها ، وبخاصَّةٍ الأُمَّة الإسلامية ، الدين للأُمَّة الإسلامية ليس شيئًا ثانويًا ، ولا على هامش حياتها ، إنَّه روح وجودها ، وسرُّ بقائها ، فإذا تجدَّد دينها ، تجدَّدتْ الأُمَّة كلِّها ، والفترات التي رأينا فيها المدَّ والانتصار ، هي الفترات التي قوي فيها الدين ، وقوِي فيها الإسلام ، وقد جرَّبنا أن هذه الأُمَّة مِفتاح شخصيتها في دينها ، كما أنَّ للسيارة مِفتاحًا بلمسة منه يستطيع الإنسان أن يُحركها ، ويدفعها إلى الأمام ، فكذلك الشخصية الإنسانية لها مِفتاح ، مِفتاح الشخصية الإسلامية هو الدين ، هو الإيمان .

هذه الأُمَّة تستطيع أن تفعل العجائب :

تستطيع أن تفعل بهذه الأُمَّة العجائب ، وتقتحم بها العقبات ، وتخوض بها اللُّجج ، وتصنع بها المستحيلات ، إذا

حرَّكتَها باسم الله ، بالإيمان والدين ، بأحلام الجنة ، إذا قال لها قائل : الله أكبر ، أو يا رياح الجنة هبِّي ، أو يا خيل الله اركبي ، ويا كتائب الله سيري . إذا قيل لها ذلك انطلقتْ وراءه بالملايين ، ولكن بأيِّ شيءٍ آخر لم ولن تتحرَّك الأُمَّة .

الإسلام هو مُحرِّك هذه الأمة :

طالما رأينا أناسًا عزفوا على نغمة القوميّة ، أو على نغمة الاشتراكيّة ، أو على نغمة الديمقراطية ، فلم يُحرِّكوا في الأُمَّة ساكنًا ، ولكن حين تقول : الله أكبر . حينما ترفع المصحف ، ستجد هذه الأُمَّة وراءك ، فالإسلام هو مُحرِّك هذه الأُمَّة الأوْحد ، ولذلك جعل النبي ﷺ تجديد الدين هو مُجدِّد الأُمَّة ، فإذا تجدَّد الدين تجدَّدتْ الأُمَّة كلُّها .

نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي جددا دين الأمة :

يوم جاء نور الدين محمود الشهيد ، ويوم جاء صلاح الدين الأيوبي ماذا فعلوا؟ إنَّهم جدَّدوا دين الأُمَّة فتجدَّدت الأُمَّة ، كان صلاح الدين يمرُّ على الخيام بالليل في حطِّين ، فإذا وجد خيمة فيها مَن يذكر الله ، أو يتلو القرآن ، أو يُسَبِّح أو يُهلِّل أو يُكبِّر أو يُصلي ، قال : الحمد لله بهذا ننتصر . فإذا وجد أهل خيمة كلَّهم نياما ، قال : أخشى أن تأتي الهزيمة من هنا . وهكذا حركوا الأُمَّة باسم الإسلام ، باسم الدين .

المُظفَّر قُطُز وانتصار عين جالوت :

المُظفَّر قُطُز في معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة (٦٥٨هـ) ، وبعد سنتين من سقوط بغداد ، بعد أن ظنَّ الناس الظنون أنَّه لن تقوم للإسلام قائمة بعد اليوم ، وأنَّ بِساط الإسلام قد طُوِيَ للأبد ، بعد سنتين فقط كانت معركة عين جالوت ، ولما رأى قُطُز - في أول الأمر - الناس أدبروا من هول ما كانوا يسمعون عن التتار ، حتى كان المثل السائر آنذاك : إذا قيل لك : إنَّ التَّتَر قد انهزموا فلا تُصدِّق . أُسطورة القوَّة التي لا تُقهر ، والشوكة التي لا تُكسر ، رمى قُطُز خُوذته على الأرض ، وصاح صيحته التاريخية المعروفة : وا إسلاماه . هنالك أقدم المُحْجِم ، وثبت المتردِّد ، ورجع الفارُّ ، وكانت الدولة للمسلمين ، وكان النصر لهم ، فبالدين إذن تتحرَّك الأُمَّة ، وليس بشيء غيرِه .

التجديد ليس مُنصبًّا على أصول الإسلام :

فالمُجدِّد إذن هو دين هذه الأُمَّة ، والدين له معنيان :

المعنى الأول : الدين بمعنى المنهج الإلهي ، الذي يرسم للناس سبيل حياتهم في علاقتهم بالله ، وعلاقة بعضهم ببعض ، والدين بهذا المعنى يشمل العقيدة والشريعة والعبادة

والأخلاق ، والنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، الذي رسمه الله تعالى للناس ، أو كما قال التهانوي : الدين وضْعٌ إلهيٌّ سائقٌ لذوي العقول السليمة باختيارهم ، إلى الصلاح في الحال ، والفلاح في المآل[1].

والدين بهذا المعنى في أُسُسه وأصوله ثابت ، لا يتغيَّر ولا يتجدَّد ، ولكن للدين معنى آخر ، هو الذي يُحدِّد صلة الأُمَّة بهذا الدين ، فَهْمًا له ، وإيمانًا به ، وعملاً والتزامًا لتعاليمه ، وهو بهذا المعنى يقبل التجديد ، ولذلك كان نصُّ الحديث : « يُجدِّد لها دينها ». ولم يقل يُجدِّد لها دين الله ، يعني يُجدِّد فَهمها للإسلام ، وإيمانها بالإسلام ، وعملها بالإسلام وللإسلام ، هذا هو الذي يحتاج إلى التجديد ، وهذا هو المُجدَّد .

فالتجديد ليس مُنْصبًّا على أصول الإسلام ، ولا على عقائد الإسلام ، ولا على عبادات الإسلام ، ولا على الشرائع القطعيَّة الثابتة في الإسلام ، ليس هذا هو التجديد .

ليس التجديد أن نُصْدِر طبعة جديدة مُنَقَّحة من الإسلام ، أو أن نُغيِّر في كلِّ حين حسب أهواء الناس ، ويصبح الإسلام عجينة ليِّنة ، يُشكَّل حسب الأهواء ، حسب أهواء الحُكام تارة ،

---

(١) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون صـ ٤٠٣ .

وحسب أهواء الشُعُوب تارة أخرى ، إذا سادتْ الرأسماليّة كان الإسلام رأسماليًّا ، وإذا سادتْ الاشتراكيّة كان الإسلام اشتراكيًا ، وإذا سادتْ الديمقراطيّة كان الإسلام ديمقراطيًّا ، وإذا سادتْ الديكتاتوريّة كان الإسلام فرْدِيًّا ديكتاتوريًّا ، هذا غير مقبول بحال .

الإسلام يحكم أهواء الناس ، ويضبطها بشرع الله :

الإسلام جاء ليَحْكُم أهواء الناس ، ويضْبطها بشرع الله ، فلو أصبح الحاكم محكومًا ، وأصبح المتبوع تابعًا ، وأصبح القائد مَقُودًا ، انقلبتْ الموازين ، وصدق الله : ﴿ **وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ (المؤمنون ٧١) ، المفروض أنَّنا نَقِيس سلوك الناس وأهواءهم وتقاليدهم وأخلاقهم بمقياس ثابت لا يتغيَّر ، مقياس لا يضل ولا يُخطئ ، هذا المقياس هو دين الله عزَّ وجلَّ ، ولكن حينما يكون هذا المقياس نفسه متغيِّرا لم يصبح مقياسا ، إذا كان يستقيم باستقامة الناس ، ويعْوَجُّ باعوجاجهم ، ويتغيَّر بتغيُّرهم ، لم يَعُد هناك شيء يُرجَع إليه ، ولا يُحْتكم إليه ، التجديد من هذا النوع مرفوض ، لأنَّ معنى هذا أنَّنا نلعب بالإسلام .

الإسلام لا يرفض التجديد ، لا يرفض أن يُجدَّد دينُ الأُمَّة ، لا دين الله ، لا يرفض أن يُجدَّد دين الأمة ، أن يُجدَّد فَهمها

للإسلام ، فَهمًا صحيحًا ، كما فهمه السلف الصالح ، خير القرون من هذه الأمَّة ، «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[1].

معنى التجديد :

ما معنى كلمة (التجديد)؟ تجديد الشيء يعني العودة به إلى يوم نشأ وظهر ، يعني العودة به إلى قِدَمه يوم بدأ ، فليس معنى التجديد تغيير طبيعة الشيء ، أو استحداث شيء مُبتكَر ، لو أردنا تجديد مبنى أثري عريق ، فما معنى تجديده؟ أيعني تجديده أن نهدم القديم ، وأن نُقيم شيئا مُسْتحدَثا على أحدث طراز مكانه؟! هذا ليس تجديدًا .

التجديد حقًّا هو : أن نُبْقي على جوهره ، وعلى خصائصه ومُقوِّماته ومعالمه الرئيسيَّة ، بل وحتى طريقة نقشه وزخرفته ، لكنَّنا نُرمِّم ما تهدَّم منه ، وما فعلتْه فيه عوامل التعْرية . كذلك التجديد للدين ، نُبقي على جوهر الدين ، وعلى خصائصه ومقوِّماته . . نُحْسِن عرض الدين . . نفهمه فهمًا جديدًا ، في ضوء النصوص القطعيَّة ، في ضوء المقاصد العامة للشريعة .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٣١٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥)، كما رواه أبو داود في السنة (٤٦٥٧)، والترمذي في الفتن (٢٢٢١)، والنسائي في الأيمان والنذور (٣٨٠٩)، عن عمران بن حصين .

منطقة مُحرَّمة لا مجال فيها للتجديد :

هناك منطقة في الدين مُحرَّمة لا يدخلها اجتهاد ، ولا يدخلها تجديد ، منطقة ما ثبتت بنصوص قطعيّة الثبوت قطعيّة الدلالة ، هذه هي التي تُمثِّل الوَحدة الفكرية ، والوَحدة السُلوكيّة للأُمَّة ، وهذه لا مجال فيها لاجتهاد مُجتهد ، ولا لتجديد مُجدِّد ، وذلك كوجوب الواجبات ، وتحريم المُحرَّمات ، وأصول الفضائل ، وأصول الرذائل ، وما عُلِم من الدين بالضرورة ، فكلُها أمور لا مجال فيها للاجتهاد ولا للتجديد .

التجديد في منطقة النصوص الظنيَّة :

وهناك منطقتان أُخريان يدخلهما التجديد .

المنطقة الأولى : منطقة النصوص الظنيَّة

سواء كانت ظنيّة في ثبوتها ، أو ظنيَّة في دلالتها ، وهذه معظم نصوص الشريعة ، فمن فضل الله علينا أنَّه لم يُقيِّدنا بنصوص مُحْكَمة قاطعة إلا في القليل ، ومعظم النصوص جاءت ظنيَّة لتفتح المجال لاجتهاد المجتهدين ، فنجد المدرسة الحَرْفيَّة ، مثل مدرسة الظاهريَّة ، والمدرسة الأثَريَّة ، التي تهتم بالأثر ، ومدرسة الرأي ، والمدرسة المتوسطة . . نجد هذه الأفهام .

وقد ثبت هذا في زمن النبي ﷺ، كما في قضية بني قريظة، عندما قال النبي ﷺ للصحابة يوم الأحزاب: «لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ العصر إلا في بني قُريْظة». فأدرك بعضَهم العصرُ في الطريق، فقال بعضهم: لا نصَلِّي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلِّي، لم يُرد منَّا ذلك. فذُكِر ذلك للنبيِّ ﷺ فلم يُعنِّف واحدًا منهم[1].

فجماعةٌ أخذوا بالظَّاهر، وجماعةٌ أخذوا بالفحْوى وبالرُّوح، وبلغ النبيَّ ﷺ فعلُ الفريقين، فما عنَّف هؤلاء ولا هؤلاء، وأَقرَّ الاجتهاد.

فهناك نصوص ظنيَّة الدلالة وظنيَّة الثُبُوت.

القرآن قطعيُّ الثُبوت، ولكن فيه نصوصٌ ظنِّيةٌ الدلالة، أمَّا السنة ففيها ظنِّيُّ الثبوت وهو الأكثر، وقطعيُّ الثبوت وهو المتواتر، وهو الأقل، والأكثر ظنيُّ الدلالة، وهنا نجد مجالا لاجتهاد المجتهدين، لنفهم الأمور من جديد، في ضوء ظروفنا وفي ضوء حياتنا، ومقاصد شريعتنا، فهذه المنطقة الظنية.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٣٨٩٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، كما رواه ابن حبان في الصلاة (١٤٦٢)، عن ابن عمر.

المنطقة الثانية : منطقةٌ لا نصَّ فيها

المنطقة الثانية : هي التي لا نصَّ فيها؛ لأنَّ الشريعة لم تَنُص على كلِّ أمر ، إنَّها نصَّت على أمور ، وهي مما لا يتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال ، وتركتْ أشياء لا نصَّ فيها ، كما جاء في الحديث عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عزَّ وجلَّ فرض فرائض فلا تُضيِّعوها ، وحرَّم حُرُمَاتٍ فلا تَنتهكوها ، وحدَّ حدودا فلا تعتدوها ، وسكتَ عن أشياء من غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها »[1].

منطقة العفو :

وهذه المنطقة يسمِّيها العلماء : (منطقة العفو) ، أخذًا من قول النبيِّ ﷺ : « وما سكتَ عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإنَّ الله لم يكن نسيًّا » ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم ٦٤) »[2].

---

(١) رواه الحاكم في الأطعمة (١١٥/٤) ، وسكت عنه هو والذهبي ، والدارقطني في الرضاع (٤٢)، والطبراني في الكبير (٢٢١/٤)، والبيهقي في الكبرى كتاب الضحايا (١٩٥٠٩)، وابن عبد البر في الفقيه والمتفقه (١٦/٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٩/٢) : رجاله رجال الصحيح . وضعَّفه الألباني في الجامع الصغير (٣٥٢٠) ، وحسنه النووي في الأربعين النووية ، الحديث الثلاثون ، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم : حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه .

(٢) رواه الدارقطني في الزكاة (١٢)، والبيهقي في الكبرى كتاب الضحايا (١٩٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٥٦)، عن أبي الدرداء .

ومنطقة العفو هـذه هـي منطقـة الفـراغ التشـريعي ، والـتي يمكن أن نملأها عن طريق القياس على المنصـوص ، أو عـن طريـق الاستصـلاح ، كمـا يقولـه المالكيـة وغيرهـم ، أو عـن طريق الاستحسان ، أو عن طريق سدِّ الذرائع ، أو عن طريـق رعاية العُرْف ، وطُرُق شتَّى ، فأمامنا مُتَّسَعٌ لمِلء هذا الفراغ .

إذن هناك مناطق مفتوحة للتجديد ، ومنـاطق لا يمكـن أن يدخلها التجديد بحال .

الرد على مَن يريدون تطوير الإسلام كلَّه :

الذين يريدون أن يُطوِّروا الإسلام كلَّه ، بعقائده ، وعباداته ، وقِيَمه الأخلاقيـة ، وقطعيَّات شريعتـه مُخطئـون ، فهـؤلاء لا يقفون عند حدٍّ ، إنَّهم يقولون : لا حاجة لنا بأقوال الفقهـاء ، وإنَّما هم بشر ونحن بشر . . هم رجال ونحن رجال .

ولو سلَّمنا لهم وطرحنا الثروة الفقهيّـة كلَّهـا ، لجـاءوا إلى السُّنَّة وقـالوا : لا نسـتطيع أن نأخـذ منهـا إلا القطعـيّ . . إلا المتواتر .

ولو سلَّمْنا لهم لجاءوا أيضًا إلى القرآن وقالوا : القرآن جاء مراعيًا للبيئة ، فإنَّه حين حَرَّم الخنزير ، حَـرَّم خنـازير كانـت سَيِّئة التغذية ، أمَّا الخنازير التي تُربَّى في الحظائر التي يُشْرف عليها أناسٌ ، وتحـت إشـراف طِبِّـيٍّ ، وعنايـةٍ صـحيَّةٍ ، فهـذه ليست كتلك .

والخمر إنَّما حُرِّمتْ في بلاد حارة ، ولو نزل القرآن في بلاد باردة ، لكان له مع الخمر شأن آخر ، والمرأة كان لها نصف الميراث؛ لأنَّها لم تكن تعمل كالرجل ، ولم يكن لها الاستقلال الاقتصادي ، ومعنى هذا أنَّنا لو سِرْنا وراء هؤلاء ما بقي لنا شيء ، لم يبقَ لنا شرع ، وجعل هؤلاء أنفسهم مشرِّعين في كلِّ الأمور .

نحن نقول لهؤلاء : إنَّ الله أنزل شرعه ليَحكُم لا ليُحكَم ، ولِيُتَّبع لا ليَتْبع ، فالشرع ميزان ، والميزان يجب أن يُحتكَم إليه ، ونقول لمن يُطالبون بتطوير الإسلام : إذا كنتم تطالبون الإسلام أن يتطوَّر ، فأوْلى بكم أن تطالبوا التطوُّر أن يُسْلِم . بدل أن نُعَصْرِن الإسلام كما تقولون ، أو أن نُحَدِّث الإسلام كما تريدون ، يجب على العصر أن يُسْلِم ، وأن يخضع لمقتضيات الشرع القطعي . لا ينبغي أن نخلط بين ما يجوز فيه الاجتهاد والتجديد ، وما لا يجوز .

لا يملك أحد إغلاق باب الاجتهاد :

والقول بإغلاق باب الاجتهاد قول لم يقله إمام ، قاله بعض المقلِّدين ، والمقلِّد لا يُقلَّد . ثم مَن قال من الأئمة : إنَّ باب الاجتهاد قد أُغلق ؟ ! مَن الذي يملك إغلاق باب فتحه النبيُّ ﷺ ؟ ! ومَن الذي نَسَخَ النصوص التي أقرَّت الاجتهاد؟!

إنَّ الاجتهاد قائمٌ وثابتٌ ، ولذلك رأى الحنابلة ومعهم بعض علماء المذاهب الأخرى : أنَّ أيَّ عصر لا يخلو من مجتهد ، ولا يجوز أن يخلو من مجتهد[1]. وألَّف في ذلك الإمام السيوطيُّ رسالة بعنوان : (الردُّ على مَن أخْلَد إلى الأرض ، وجهل أنَّ الاجتهاد في كلِّ عصر فرض).

المُسْتجَدَّات الكثيرة التي تحتاجُ إلى اجتهادٍ في عصرنا :

فالاجتهاد فرضٌ في كلِّ عصر ، ولو جاز أن لا يكون هناك مجتهد ولا اجتهاد في عصر ما ، فلا يجوز في عصرنا أن يقال هذا ، لأنَّ الحياة قد تغيَّرتْ ، الحياة في العصور الماضية كانت بطيئة التغيُّر ، كانت رتيبة ، أمَّا عصرنا فقد جدَّتْ فيه أمور ، أصبحتْ تحتاج إلى اجتهاد وإلى إعمال فكر ، وهذا ليس في المعاملات فحسب ، بل حتى في العبادات .

الاجتهاد في ثبوت الهلال :

ففي الصوم مثلا كيف نُثْبتُ الهلال؟ لا زال بعض الناس يرفضون أن نستخدم المراصد في رؤية الهلال ، ويفرضون على الناس أن يتراءوا الهلال بالعين المجرَّدة ، مَن قال هذا؟! والنبيُّ ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته »[2].

---

(١) انظر : مغني المحتاج (٣٧٧/٤) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٨١٠)، ومسلم (١٠٨١)، كما رواه الترمذي (٦٨٨)، والنسائي (٢١١٧)، في الصوم عن أبي هريرة .

فمن قال : إنَّ الرؤية لا بدَّ أن تكون بالعين المجرَّدة؟ ألسنا نستخدم النظَّارات المُكبِّرة للقراءة؟ ألسنا نستخدم مُكَبِّرات الصوت؟ فلماذا لا نستخدم المراصد؟ بل إنَّ الإمام السبكيّ قال : إنَّ الحساب الفلَكيَّ إذا كانت مقدماته قطعيَّةً ، فينبغي أن يُؤخذ به في النفي لا في الإثبات .

أي أنَّه إذا نفى الحساب الفلَكي أن يولد الهلال ، ونفى إمكان رؤيته ، فإنَّ القاضي لا يجوز له أن يعتبر الشهود في هذه الحالة ، بل يرفض الشهود إذا قال الحساب القطعي لا يمكن الرؤية ، وقال : إنَّ الظنيَّ لا يعارض القطعيَّ[1] . والإمام السبكيُّ كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد في عصره ، وكان له إدراكٌ وإلمامٌ بعلم الفَلَك ، مثل هذه الآراء موجودةٌ في الصوم .

وفي الحجِ ، ما زلنا إلى اليوم نختلف ، ونرى الذبائح تُرمَى في منى وتُلقى ، ولا ينتفع بها أحد ، مع أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج ٢٨) .

لا بد من إعمال الرأي وتقديم البدائل عن الحرام :

إذا كان هذا في العبادات فكيف بالمعاملات وقد جدَّتْ في عصرنا أشياء كثيرة ، ومؤسَّسات تحتاج إلى فتوى؟ فلا بدَّ لنا

---

(١) فتاوي السبكي (٢٠٩/١) .

أن نُعمِل الرأي ، لا بدَّ لنا أن نجتهد ، حتى لا يقول قائل : إنَّ الإسلام لا يصلح لهذا العصر . أو يقول : إنَّ علماء الإسلام لم يُقدِّموا لنا البديل ، بل فقط يقولون : هذا حرام ، وهذا حرام ، ولم يقولوا لنا : ما الحلال ، ولم يُقدِّموا لنا البدائل . فواجبٌ علينا أن نُقدِّم للناس البدائل ، ليستطيعوا أن يستغنوا بالحلال عن الحرام ، وما حَرَّم الله تعالى شيئا ، إلا وفي الحلال ما يُغني عنه .

الدعوة إلى الاجتهاد من أهله :

لا يمكن أن يُحرِّم الله على الناس شيئا يُضطرون إليه أو يحتاجونه ، لهذا نحن ندعو إلى الاجتهاد ، ندعو إلى الاجتهاد من أهل الاجتهاد ، وليس اجتهاد الأدعياء ولا المتطفِّلين ، الذين لم يملكوا مؤهِّلات الاجتهاد ، ولم تتوفَّر فيهم شروطه ، وإنَّما أتَوا البيوت من غير أبوابها ، ويريدون أن يقول الناس عنهم : إنهم مجتهدون .

فالتجديد في هذا الجانب لا بدَّ منه .

تجديد الفهم للإسلام :

نحن نحتاج إلى تجديد في الفقه والفَهم والفكر ، ولكني أقول : إنَّ الاجتهاد ليس خاصًّا بالعلماء ، نحن نحتاج إلى تجديد الفَهم بالنسبة لعامَّة المسلمين وجماهيرهم ، لقد فُهم

الإسلام خطأ ، أخطأ كثير من الناس فَهم الإسلام ، أخرجوا من الإسلام ما هو منه ، وأدخلوا فيه ما ليس من صُلبه ، وقدَّموا فيه ما حقُّه التأخير ، وأخَّروا ما حقُّه التقديم ، وهذا شرُّ ما يصاب به الإسلام ، أن تزيد في الإسلام ما ليس منه ، وهذا هو الابتداع . أو أن تحذف من صُلب الإسلام ما هو منه ، وهذا للأسف هو ما نجده في عصرنا .

بعض الناس يريدون الإسلام نسخة من الأديان الأخرى ، أو من المذاهب الأخرى : يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد ، أو عقيدةً بلا شريعة ، أو زواجًا بلا طلاق ، أو دِينًا بلا دولة ، أو حقًّا بلا قوة ، أو مصحفًا بلا سيف . والحقيقة هي أنَّ الإسلام هو هذا كلُّه ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ونظام حياة متكامل : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل ٨٩).

شمول الإسلام لحياة الإنسان :

إنَّ الإسلام دين يصحب الإنسان من المهد إلى اللحد ، من الميلاد إلى الوفاة ، من صرخة الوضع ، إلى أنَّة النَّزع ، يصحبه في رحلة الحياة كلِّها ، بل يصحب الإنسان حتى قبل أن يُولد ، وبعد أن يموت ، فهناك أحكام في الشريعة تُشْرع

للجنين في بطن أمّه : أحكام تتعلق بالحمل والوضع والرضاعة .

وأحكام تتعلق بالإنسان بعد موته : أحكام الجنائز ، كيف يُغسَّل الميت؟ وكيف يُكفَّن؟ وكيف يُدفن؟ وكيف يُصلَّى عليه؟ وكيف تُوزَّع تركتُه؟ وكيف تُقضَى حقوقه وديونه؟ وكيف تُنفَّذ وصاياه؟

كذلك يصحب الإسلام الإنسان في جوانب الحياة كلِّها : لا يصحبه في المسجد فقط ، وإنَّما يصحبه في المسجد ، وفي السوق ، وفي البيت ، وفي المزرعة ، وفي المتجر ، وفي الديوان ، وفي جوانب الحياة كلِّها .

الفهم الشُّموليّ للإسلام :

نحن في حاجة إلى أن نفهم الإسلام فَهما شموليا ، بدل هذا الفهم التجزيئي ، وأن نفهمه فَهمًا متوازنًا ، فبعض الناس يأخذون من الإسلام جزءًا ويُضَخِّمونه ، فينمو نموًّا سرطانيًّا على حساب أجزاء أخرى ، فهناك مَن يبالغ في الجانب العبادي على حساب الجانب الأخلاقي مثلاً ، وهناك مَن يبالغ في الجانب الأخلاقي على حساب التعبُّد ، وهناك مَن ينسى أنَّ الإسلام جاء بالنظام للحياة الإسلامية : النظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي ، والنظام السياسي . جاء ليُقيم العدالة في الأرض ، لا بدَّ أن نوازن بين هذه الأمور كلِّها .

جاء الإسلام بشُعَبٍ أساسيَّةٍ ثلاثٍ :

للإسلام شُعَبٌ ثلاثٌ أساسيَّةٌ :

شُعْبة الفرد :

شُعْبةٌ تتَّجه إلى الفرد ، فتُصْلِح نفسَه بالتَّزْكيَة ، ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ (الشمس ٩، ١٠) .

شُعْبة المجتمع :

وشُعْبةٌ تتَّجه إلى المجتمع ، فتُصْلِحَه بالعدالة والتكافل .

شُعْبة الحُكْم :

وشُعْبةٌ تتَّجه إلى الحُكْم ، فتُصْلِحَه بالشُّورى .

إصلاح الفرد بالتزكية :

لا بدَّ من هذه الشُّعَب الثلاث ، لا بُدَّ أن نُصْلِح الفرد ، فهو أساس المجتمع ، وإصلاح الفرد إنَّما يكون بإصلاح نفسه . . بإصلاح أخلاقه ، إذا غيَّرنا نفس الفرد تغيَّر المجتمع ، لا يقول الإسلام ما تقول الماركسية : غيِّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج يتغيَّر التاريخ . بل يقول : غيِّر نفسك يتغيَّر التاريخ ، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (الرعد ١١).

ولذا كان عَمَلُ النبيِّ ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة هو تربية الفرد المؤمن؛ لأن هذا أساس المجتمع المؤمن فيما بعد . فهذه الشُّعبة ، شُعبة التزكية هي الأساس .

إصلاح المجتمع بالعدالة والتكافل :

وتأتي الشُعبة الاجتماعية : شُعبة العدالة والتكافل ، فالإسلام يريد مجتمعًا متكافلاً ، يقف القويُّ فيه بجانب الضعيف ، ويحنو الغنيُّ فيه على الفقير ، ولا يعيش المجتمع طبقات متناحرة ، يحسدُ بعضها بعضا . . . لا يُجيز الإسلام أن يوجد في مجتمعه مَن يأكل حتى يضع يده على بطنه من زحمة التُخْمة ، وآخر يجوع حتى يضع يده على بطنه من عَضَّة الجوع ، لا يجوز أن يكون هذا في المجتمع الإسلامي ، لأن هؤلاء هم الذين يُتيحون للمبادئ الهدَّامة أن تُعشِّش وتُفرِّخ .

ويؤثر عن علي بن أبي طالب أنه قال : لو تمثَّل لي الفقر رجلا لقتلتُه .

وروي في الحديث : « كاد الفقر أن يكون كفرا »[1] .

وقال بعض السلف : إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر : خذني معك .

وبتعبير عصرنا تقول الشيوعية للفقر : إذا ذهبْتَ إلى بلدٍ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان باب الحث على ترك الغل والحسد : (٦٦١٢) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٦١٢) ، عن أنس بن مالك .

خذني معك . لأنَّ الشيوعية إنَّما تجد ضحاياها بين هؤلاء المحرومين، تُثير أحقادهم على أولئك الذين ينفقون الملايين، وبجوارهم آخرون لا يجدون الملاليم .

الزكاة تنظيمٌ اجتماعيٌّ :

الإسلام يُقيم العدالة ، وهو أول دين في الأرض جعل في أموال الأغنياء حقًّا معلوما ، يُؤخذ كَرْها إن لم يُدفع طَوْعا ، ويُقاتَل عليه بحدِّ السلاح ، هذا الحقُّ المعلوم هو الزكاة ، فالزكاة ليست صدقةً تطوُّعيَّةً ، وليست إحسانًا اختياريًّا ، إنَّما هو حقٌّ معلومٌ فرضه الله تعالى على الأغنياء في مال الفقراء ، كما قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ (المعارج ٢٤،٢٥).

وهذا الحقُّ هو من شأن الدولة المسلمة ، تأخذه من الأغنياء وتعطيه المستحقِّين ، ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ (التوبة:١٠٣)، فالزكاة حقٌّ يُؤخذ ، لذا جعل الله من مصارف الزكاة مصرفًا للعاملين عليها ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(التوبة ٦٠)، ومن هنا كان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أولَ حاكم في التاريخ يقاتل ويَشُنُّ الحرب من أجل انتزاع

حقوق الفقراء من الأغنياء ، وقال كلمتَه المعروفة : والله لو منعوني عقالاً ـ حبل بعير ـ كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتُهم عليه[1]، ما استمسك السيف بيدي .

فلا بدَّ إذن من العناية بهذه الشُعبة . . الشُعبة الاجتماعية . . شُعبة العدالة والتكافل ، ولا بدَّ كذلك من الشُعبة الأخرى ، شُعبة الشورى .

إصلاح الحُكْم بالشُّورى :

لا بد من تثبيت الشورى في المجتمع المسلم ، فالحكم في الإسلام يقوم على أساس الشورى ، وكان النبيُّ ﷺ ، أكثر الناس مشاورةً لأصحابة ، رغم أنَّه المؤيَّد المعصوم ، وقال الله تعالى له : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وجاء هذا بعد غزوة أحد التي شاور فيها أصحابه ، ونزل فيها عن رأيه إلى رأي أصحابه ، وكانت النتيجة استشهاد سبعين من خيار الصحابة ، ومنهم حمزة رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله ، ومع هذا قال الله له : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، أي اثبُت على المشاورة مهما تكن نتائجها .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤) ، ومسلم في الإيمان (٢٠) ، عن أبي هريرة .

الشُّعَب الثلاث في آيةٍ واحدةٍ من سورة الشُّورى :

وقد جمعتْ آية واحدة من سورة الشورى هذه الشُّعَب الثلاث ، الشُّعبة التي تتَّجه إلى الفرد فتُصْلِحه بالتَّزْكية ، والشُّعبة التي تتَّجه إلى المجتمع فتُصْلِحَه بالتَّكافُل ، والشُّعْبة التي تتَّجه إلى الحُكْم فتصلِحَه بالشُّورى ، جمعتْ آيةٌ واحدةٌ هذه الشُّعَب الثلاث ، وهي قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى ٣٨).

الفهم الشُّموليّ المتوازن المتكامل للإسلام :

نحن في حاجة إلى أن نفهم الإسلام فَهمًا شُمُوليًّا مُتوازنا مُتكاملاً دون زيادةٍ فيه ودون انتقاصٍ منه ، ودون إخلال بنِسَبه ، ودون تشْويهٍ لمعالمه .

الإسلام كاملٌ لا يقبل الزيادة :

هناك مَن زادوا على الإسلام ما ليس منه ، المبتدعات التي كدَّرت صفاء الإسلام ، وألصقت بالإسلام ما ليس منه ، وهذا يحدث عادة في عصور المدِّ الإسلامي ، وهذا مردودٌ عليهم ، كما قال النبيُّ ﷺ : « من أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الصلح (٢٥٥٠)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، كما رواه أبو داود في السنة (٤٦٠٦)، عن عائشة .

الانتقاص من الإسلام مرفوض :

وهناك مَن حاول الانتقاص من الإسلام ، في عصور الانكماش الديني يحاول الناس الانتقاص من الإسلام ، كما في عصرنا هذا ، قوم يريدون الإسلام ـ كما سبق أن قلنا ـ دينًا بلا دولة ، أو صلاةً بلا زكاة ، أو عبادةً بلا قيادة ، أو مصحفًا بلا سيف ، أو زواجًا بلا طلاق ، أو سلامًا بلا جهاد .

وقومٌ يريدون الإسلام عقيدةً بلا شريعة ، مُجرَّد علاقةٍ بين العبد وربِّه ، يريدونه مسيحيَّةً أخرى ، يقولون ما قالت المسيحية من قبل : دعوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله[1] .

وآخرون يريدون أن يحذفوا من الإسلام شرائع معَيَّنة ، أن يحذفوا الشورى من الحكم ، أو يحذفوا العدالة الاجتماعية من الاقتصاد الإسلامي ، أو يحذفوا الحدود من الفقه الإسلامي ، وهذا مرفوضٌ ، فلا يقبل الإسلام التجزئة ، أن نأخذ من الإسلام ما يروق ، ونترك ما لا يروق ، الإسلام كلٌّ لا يتجزَّأ ، ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة:٨٥) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ (البقرة:٢٠٨)، ادخلوا في شرائع الإسلام جملة ، ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ

---

(١) إنجيل متى : (٢١/٢٢) .

﴿ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة:٤٩)، يجب أن يُؤخذ الإسلام كلُه ، ويُؤخذ أخذًا متوازنًا ، وأن يُفْهَم فهمًا شُمُوليًا متوازنًا متكاملاً .

أفهام مغلوطة يجب أن تُصحَّح :

هناك مَن يفهم الإسلام على غير وجهه ، يفهم القَدَر على أنَّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر ، يفهم الزهد على أنَّه إهمال للحياة الدنيا ، يفهم التوكُل على أنَّه تواكل وقعود عن الأسباب . يجب أن تُصحَّح هذه الأفهام المغلوطة ، يجب أن يُصحَّح فَهم الإسلام .

الخلل في فهم الأولويَّات :

هناك مَن أخلَّ بالنِّسَب بين تعاليم الإسلام بعضها وبعض ، فإنَّ الإسلام قد وضع أجورًا للأعمال ، كلُّ شيء له أجر .

ففي جانب المأمورات هناك العقائد ، وهناك العبادات ، أو الفرائض ، وهناك الآداب ، كلُّ واحدة من هذه لها مكانها .

وفي الجانب الآخر ، جانب المنهيات ، هناك الكفر ـ والعياذ بالله ـ والكفر منه ما هو أكبر ، ومنه ما هو أصغر ، وهناك الكبائر ، ومن الكبائر ما هو كبائر فقط ، ومنها ما هو أكبر الكبائر ، وهناك صغائر المُحرَّمات ، وهناك الشُّبُهات ، وهناك المكروهات . مراتب بعضها فوق بعض ، لا يمكن إذابة

الفوارق بينها ، أو أن تُجعل كلُّها مرتبة واحدة ، كما يفعل بعض المتدينين .

بعض المتدينين يحاسب الناس على المكروه كأنه مُحرَّم ، وينظر للمُخْتَلَف فيه كالمتَّفَق عليه ، والمُشْتَبَه كالمقطوع به ، لا يجوز هذا ، لا بد أن نضع الأشياء في مراتبها ، لا بد من فقه المراتب هذا ، نحن في حاجة إلى هذا الفَهم ، هذا تجديد في فَهم الإسلام لا بدَّ منه ، وهو تجديد معنى العودة إلى ما كان عليه الحال في عصور الإسلام المزدهرة .

تجديد الإيمان :

الإسلام ليس فهمًا فقط ، وليس فكرًا فقط ، غالب الذين يتحدثون عن التجديد ، يَصبُّون التجديد على الناحية الفقهية والفكرية والعقلية فقط ، ولكن الإسلام فهمٌ وإيمانٌ وعملٌ ، لا بدَّ أن نُجدِّد إيماننا أيضا ، نحن في حاجة إلى تجديد الإيمان ، هذه الأُمَّة لا تُقاد إلا بالإيمان ، والإيمان ليس كلاما يقال ، ولا دعوة تُدَّعى ، إنَّما الإيمان هو ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل ، نحن في حاجة إلى تجديد الرُّوح بالإيمان ، الإيمان الذي يجعل من الإنسان بطلا مِغوارًا ، ويُغيِّر في حياته كلَّ شيء ، كما تَغيَّر سحرة فرعون لما آمنوا بربِّ العالمين ، ربِّ موسى وهارون ، وكما تغيَّر العرب حينما آمنوا

بالنبي ﷺ ، وكما تغيَّر عمر بن الخطاب بالإيمان وصار شيئا آخر ، وكما تغيَّرت (الخنساء) من بكَّاءة ندَّابة نَوَّاحة على موت أخيها ، إلى أُمٍّ تُقدِّم أبناءها الأربعة للشهادة في سبيل الله ، وتقول : الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وجعلهم شهداء في سبيله[1]. نحتاج إلى تجديد الإيمان في قلوب الأُمَّة .

الحاجة إلى صوفية حقيقية مُعتدلة :

نحن في حاجة إلى صوفية معتدلة حقيقية ، صوفية تزرع في القلوب الخشية من الله ، والرجاء في رحمته ، نحن في حاجة إلى هذا النوع من التصوف السُّنّي الإيجابي ، التصوف الذي يربي الخُلُق ، كما قال ابن القيم نقلا عن الصوفية المتقدِّمين : التصوف هو الخُلُق ، فمن زاد عليك في الخُلُق فقد زاد عليك في التصوُّف[2].

ليس التصوف الذي يقول : دع الملك للمالك ، واترك الخلق للخالق ، أقام العباد فيما أراد . تصوف لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر .

وليس التصوف الذي يُفَرِّق بين الحقيقة والشريعة ، ويقول :

---

(١) الإصابة لابن حجر (٦١٥/٧) .

(٢) مدارج السالكين (٣٠٧/٢) .

مَن نظر إليهم بعين الشريعة مقتهم ، ومَن نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم[1].

وليس التصوف الذي ينشئ العقلية الشركية أو القُبوريِّة أو الخُرَافية .

وليس التصوف الذي يسلُب شخصية المريد ، وأنَّ مَن قال لشيخه : لِمَ فلن يُفلح . وأنَّ على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل .

وليس التصوف الذي يدعو إلى الجَبْرية ، ويغفل الإرادة الإنسانية .

إنَّنا في حاجة إلى تصوف حقيقي سلفي سنيّ معتدل ، كتصوف الحارث المحاسبي ، وابن عطاء الله السكندريّ ، وابن عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، وابن تيمية ، وابن القيم . التصوف الذي يُرقِّي في المسلم المعاني الربانية ، التوكل على الله ، والإنابة إليه ، والرجاء في رحمته ، والخشية من عذابه ، والشكر لنعمائه ، والصبر على بلائه ، والرضا بقضائه ، واستحضار معاني الآخرة : كالموت ، والقبر ، والبعث ، والحساب ، والجنة والنار . واستحضار المعاني الأخلاقية ،

---

(١) مدارج السالكين (١٦٦/٣) .

فكلُّ هذه المعاني في حاجة إلى أن تُجدَّد ، وهذا التجديد نحتاج إليه .

تجديد العمل بالإسلام وللإسلام :

ونحن في حاجة إلى تجديد العمل ، تجديد العمل بالإسلام ، وتجديد العمل للإسلام ، نحن نريد أن نعمل بالإسلام ، فليس الإسلام قولا فقط ، وليس الإسلام فكرا فقط ، إنما الإسلام قول وفكر وعمل .

إنَّ الله تعالى خلق السماوات والأرض ، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود:٧)، وقال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك:٢)، أي أنَّ الناس لا يتسابقون ولا يتنافسون في حُسن العمل فقط ، بل يتنافسون ويتسابقون في أَحسنيَّة العمل ، أيُّهم يكون أحسن عملا ، فينبغي علينا أن نعمل ، وأيضا أن نُحْسن العمل ، وأن نعمل للدين وللدنيا معا ، فالإسلام دين ودنيا ، يجب أن نفهم هذا .

العمل للدنيا والدين :

لا يمكن لنا أن ننصر ديننا إذا أضعنا دنيانا ، نحن في بلاد

المسلمين بوَّأنا الله أطيب البلاد بُقعة ، وأعظم الأماكن رُقعة ، وأخصب الأرض تُربة ، الثروات في باطن أرضنا مذخورة ، وعلى ظاهرها منشورة ، ومع هذا نعيش عالة على الأمم ، في معظم بلاد المسلمين . . نحن للأسف نستورد من غيرنا القوت أو نصفه ، أو أقل أو أكثر ، وفي الصناعة أيضا نحن عالة على غيرنا ، نحن أُمَّةُ سورة الحديد لم نُتْقن حتى اليوم صناعة الحديد ، ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥)، لم نُتْقن صناعة الحديد ، لا الصناعة المدنية ، والتي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥). ولا الصناعة العسكرية ، والتي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ (الحديد: ٢٥) .

ينبغي علينا نحن المسلمين أن نُتْقن الأمرين معا : العمل لديننا ، والعمل لدنيانا . وبهذا نتقرَّب إلى الله عزَّ وجلَّ ، العمل للدنيا عبادة في نظر المسلمين . . التفوُّق في كلِّ علم ، أو في كلِّ صناعة يحتاج إليها المسلمون فريضة، فرض كفاية، إذا قام بها عدد كافٍ سقط الإثم عن الأُمَّة ، وإلا أثمت الأُمَّة عامَّة ، وأولو الأمر فيها خاصَّة ، نحن في حاجة أن نعمل للإسلام ، كما نعمل بالإسلام .

غير المسلمين يعملون لدينهم :

كلُّ أصحاب دين يعملون لدينهم . . اليهودية عملتْ لدينها ، وأقامتْ دولة في قلب ديارنا العربية والإسلامية ، سمَّتْها : إسرائيل . ظللنا سنين من الزمن نقول : إسرائيل المزعومة . ثم أصبحت هذه المزعومة تركل هذه الدولة ، وتصفع هذه البلدة ، وتضرب تلك الجبهة ، وتتحدى الجبهات كلَّها ، فتركنا كلمة المزعومة ، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين .

والنصرانية كذلك تعمل لدينها في الأرض ، وتُبشِّر به في الشرق والغرب ، منذ سنوات اجتمع المنصرون في مؤتمر في ولاية (كلورادو سنة ١٩٧٨م) ، وقدَّموا فيه بحوثا عن أحوال المسلمين في العالم ، وقرَّروا في هذا المؤتمر العمل على تنصير المسلمين في العالم ، وأنشأوا لذلك معهدًا سمَّوه (معهد زويمر) ، ورُصد لذلك ألف مليون دولار ، وهذا أمر نُشر في كتاب : (التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي) [١] ونشرتْه الصحف ، وتحدثتْ عنه المجلات ، ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم ، فماذا فعلنا نحن المسلمين لديننا؟

---

(١) وقد أعيد طباعته مؤخراً في مكتبة وهبة ، وكتبت له مقدمة .

نحن نستطيع أن نرصُد مثلهم وأكثر منهم ، نستطيع أن نفعل الكثير لو أردنا ، فنحن لسنا فقراء ولا ضعفاء ، لو أنَّ كل مسلم في العالم دفع دولارا لجمعنا ألف مليون دولار ، كان اليهود قديما يقولون لأتباعهم في أمريكا وأوربا : ادفع دولارا تقتل عربيا .

نحن نقول : ادفع دولارا تُنقِذ مسلما . لو كان هناك مَن يوقظ المسلمين لاستطعنا أن نفعل الكثير . . المسلمون ـ للأسف ـ لم يُقدِّموا لدينهم عملا كبيرا ، رغم سَعَة الجبهة الإسلامية وعرضها وطولها ورخائها وما تملك من أموال طائلة ، رغم هذا كلِّه لم تُقدِّم للإسلام شيئا يُذكَر ، المسلمون يأكل بعضهم بعضا ، والعاملون للإسلام يهدم بعضهم بعضا .

يا له من دينٍ لو كان له رجالٌ :

قرأتُ أنَّ رجلا درس الإسلام وأُعجِب به ، فقال كلمة لا زلتُ أذكرها ، قال : يا له من دين لو كان له رجال . مع أنَّ للإسلام ألف مليون أو مليار مسلم في العالم ، أو يزيد! ولكن مَن مِن هؤلاء الألف مليون يُعَدُّ من رجال الإسلام؟ إنَّ الألف مليون يُنسَبون إليه ، ويُحسَبون عليه ، ولكنهم لا يعملون له .

وقفة تقويم ومحاسبة :

نحن في حاجة إلى أن نقف وقفة تقويم ومحاسبة لأنفسنا ، إذا أردنا أن نُجدِّد ديننا حقا ، إنَّ ديننا هو أعظم الأديان ، هو

الدين الذي كتب الله له الخلود ، وهو الذي منَّ الله به علينا ، وأتمَّ علينا به النعمة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣)، ولكن الدين لا ينتصر وحده ، إنما ينتصر الدين برجاله ، ينتصر بأهله الذين يعملون له كما يعملون به ، وصدق الله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٦٢،٦٣) .

وعادة السيف أن يُزْهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل

إنَّنا في حاجة إلى أن نُجدِّد الدين في أنفسنا قبل كلِّ شيء ، ولا ننتظر مُجدِّدا فردا ينزل من السماء ، أو تأتي به الخوارق ليُجدِّد لنا ديننا ، إنَّ المسؤولية مسؤوليتنا جميعا ، إنَّ من الآفات التي نشكوها : أنَّ هناك من الناس مَن يحاول الفرار من المسؤولية . الشَّعب يُلقي المسؤولية على العلماء ، والعلماء يُلقون المسؤولية على الحُكَّام ، والحُكَّام يُلقون المسؤولية على الاستعمار .

في الحقيقة الجميع مسؤولون ، يقول النبي ﷺ : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته ، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيَّته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيَّته ، والمرأة راعية

في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيَّته ، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته »[1].

قال أحد الناس لأحد العلماء يوما : ماذا فعلتم؟ صار لكم أربعون سنة تدعون الناس ، ماذا عملتم؟

فقال له العالم : وأنتم صار لكم أربعون سنة تسمعون ، فماذا عملتم؟

لماذا يكون العالم وحده مسؤولا والسامع ليس مسؤولا ؟ الشعب مسؤول ، والعلماء مسؤولون ، والحكَّام مسؤولون ، كلٌّ على قدر ما آتاه الله عزَّ وجلَّ ، كلُّنا مسؤولون عن تجديد هذا الدين ، وعن النهوض بهذه الأُمَّة ، والوقوف بها على الطريق المستقيم .

آن لنا أن نبدأ ، ولنبدأ بعمل صغير ، وليحاول كلٌّ منَّا أن يعمل شيئا ، يبذل جُهدا في حركة التجديد لهذا الدين ، لا يجوز لنا أن نسكت ونقول : نحن في آخر الزمان .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأحكام (٦٧١٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، كما رواه أبو داود في الخراج (٢٩٢٨)، والترمذي في الجهاد (١٧٠٥)، عن عبد الله بن عمر .

العمل إلى آخر نَفَسٍ من أنفاس الحياة :

إذا كان الإسلام طلب من المسلم أن يظلَّ عاملا لدنياه إلى آخر نَفَس من أنفاس الحياة ، كما في الحديث : « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل »[1]. وهذا تكريم للعمل لذات العمل ، بأن يظلَّ المسلم عاملا مِعْطاء مُنتجا ، إلى أن تلفِظ الحياة آخر أنفاسها ، وهذا في أمر الدنيا ، فكيف بالعمل للدين؟ وهل الدين أهون عند الله من الدنيا؟

إنَّ على المؤمن أن يظلَّ عاملا ، داعيا إلى الخير ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، مُقاوِما للشرِّ والفساد ، متعاونا مع غيره على البرِّ والتقوى ، متواصيا مع إخوانه بالحقِّ والصبر ، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ، فهل آن الأوان ـ أيها الإخوة ـ أن نعمل ، ونبذل جُهدنا في حركة التجديد المنشودة لهذا الدين؟ إنَّ الحديث الذي معنا يمِدُّنا بقوة الرُّوح وروح القوة ، وأنَّ الله لن يَدَع هذه الأُمَّة دون أن يُهيئ لها مَن يُجدِّد لها دينها .

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم، والبخاري في الأدب المفرد باب إصلاح المنازل (٤٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩)، عن أنس بن مالك .

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن يُجدِّد الله تعالى بهم دين الأُمَّة ، حتى ينتصر هذا الدين وتعلو كلمة الله في أرض الله ، ويُتِمّ الله نوره ولو كره الكافرون .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تجديد الدين الذي ننشده.....	٣
سبب اختيار الموضوع.....	٤
السبب الأول : مقاومة اليأس من انتصار الإسلام.....	٤
الأحاديث المبشِّرات.....	٧
السبب الثاني : الخلط والخبط عند مدعي التجديد.....	٩
معنى الحديث.....	١٠
من المُجدِّد ؟	١٠
ابن تيمية وحركته التجديدية الضخمة.....	١٤
ضرورة التجديد الجماعي في عصرنا.....	١٦
البعض يضيق ذرعًا بوجود أكثر من جماعة تعمل للإسلام	١٨
مَنْ المُجدَّد له ؟	١٨
ماذا يُجدِّد ؟	٢٠
هذه الأُمَّة تستطيع أن تفعل العجائب.....	٢٠
الإسلام هو مُحرِّك هذه الأمة.....	٢١
نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي جددا دين الأمة	٢١
المُظفَّر قُطُز وانتصار عين جالوت.....	٢٢
التجديد ليس مُنصبًّا على أصول الإسلام.....	٢٢
الإسلام يحكم أهواء الناس ، ويضبطها بشرع الله.....	٢٤
معنى التجديد.....	٢٥

منطقة مُحرَّمة لا مجال فيها للتجديد..... ٢٦
التجديد في منطقة النصوص الظنيَّة..... ٢٦
المنطقة الأولى : منطقة النصوص الظنيَّة..... ٢٦
المنطقة الثانية : منطقةٌ لا نصَّ فيها..... ٢٨
منطقة العفو..... ٢٨
الرد على مَن يريدون تطوير الإسلام كلِّه..... ٢٩
لا يملك أحد إغلاق باب الاجتهاد..... ٣٠
المُستجَدَّات الكثيرةُ التي تحتاج إلى اجتهادٍ في عصرنا.. ٣١
الاجتهاد في ثبوت الهلال..... ٣١
لا بد من إعمال الرأي وتقديم البدائل عن الحرام..... ٣٢
الدعوة إلى الاجتهاد من أهله..... ٣٣
تجديد الفهم للإسلام..... ٣٣
شمول الإسلام لحياة الإنسان..... ٣٤
الفهم الشُّموليّ للإسلام..... ٣٥
جاء الإسلام بشُعَبٍ أساسيَّةٍ ثلاثٍ..... ٣٦
شُعْبة الفرد..... ٣٦
شُعْبة المجتمع..... ٣٦
شُعْبة الحُكْم..... ٣٦
إصلاح الفرد بالتزكية..... ٣٦
إصلاح المجتمع بالعدالة والتكافل..... ٣٧
الزكاة تنظيمٌ اجتماعيٌّ..... ٣٨

إصلاح الحُكْم بالشُّورى..... ٣٩
الشُّعَب الثلاث في آيةٍ واحدةٍ من سورة الشُّورى..... ٤٠
الفهم الشُّموليّ المتوازن المتكامل للإسلام..... ٤٠
الإسلام كاملٌ لا يقبل الزيادة..... ٤٠
الانتقاص من الإسلام مرفوض..... ٤١
أفهام مغلوطة يجب أن تُصحَّح..... ٤٢
الخلل في فهم الأولويَّات..... ٤٢
تجديد الإيمان..... ٤٣
الحاجة إلى صوفية حقيقية مُعتدلة..... ٤٤
تجديد العمل بالإسلام وللإسلام..... ٤٦
العمل للدنيا والدين..... ٤٦
غير المسلمين يعملون لدينهم..... ٤٨
يا له من دينٍ لو كان له رجالٌ..... ٤٩
وقفة تقويم ومحاسبة..... ٤٩
العمل إلى آخر نَفَسٍ من أنفاس الحياة..... ٥٢
الفهرس..... ٥٤

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع الجلاء - القاهرة ت ٢٤٨٣٧٨٥١